

قراءة: في كراسات التدريب (بخب محفوظ)

ص 107 من الكراسة الأولى

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD140213.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

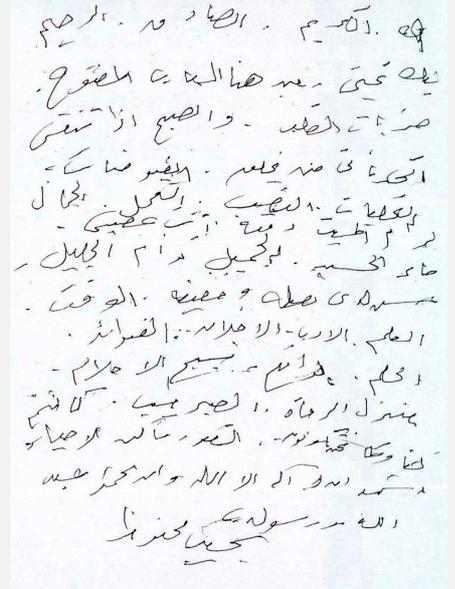
mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2013/02/14

السنة السادسة - العدد: 1994



الله - الكريم - الصادق - الرحيم
ليك (؟) تحيتي - من هنا الباب المفتوح
ضربات القلب - والصبح اذا تنفس
(ك.غ) تأتي من يخلق - الفيوضات
التجليات - النصب - العمل - الجمال
اكرام الميت دفنه - (ك.غ) [1] .
ماء الحسين - الجميل توأم الجليل، حسن هدي نصله وحقيقة- الوقت -
العلم - الادب - الاخلاق - الفوائد -
الحلم - الواقع - نسيج الاحلام
يتنزل الرماة - الصبر طيب - كما انتم كنا وكما نحن تكونون - القبور مساكن الاحياء
أشهد أن لا آله الا الله وان محمد عبد الله ورسوله
نجيب محفوظ



القراءة:

ما زلنا في صفحة 107، وأخشى ما أخشاه أن تفعل بي هذه الصفحة ما فعلته صفحة (106) فتأخذ منا خمس نشرات استغرقت شهرا كاملا، لكن تلك الصفحة السابقة كانت "مكتبة الذاكرة" محددة المعالم (تقريبا) ومع ذلك أخذت هذه المساحة، فكيف بهذه الصفحة التي لا أعرف كيف أضع لمحتوياتها عنوانا ولو بالتقريب كما ذكرت الأسبوع الماضي، ماذا أقول حين يضع شيخى هذه الكلمات بجوار بعضها هكذا: "العلم - الأدب - الأخلاق - الفوائد - الحلم - الواقع - نسيج الأحلام" ثم يقفز إلى: "الصبر طيب"، وهو يدعونا إلى زيارة القبور ربما لنتعظ من الذين رحلوا واستقروا بداخلها، وأيضا من ساكنيها من الأحياء، اللهم إلا إن كان قد تجاوز المعنى المباشر لينبهنا إلى أن من في القبور هم ما زالوا أحياء أيضا، ثم هو يختم بشهادة مليئة بالنبض والجمال، لم يصلني منها أية توبة أو استجابة للأغبياء الذين كفروه وطلبوا إسلامه من جديد، بل وصلني منه حضور توحيد رب العالمين ضد كل شرك مهما خفى كدبيب النملة، وحبه الفائق لرسوله القادر الطيب الجميل عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

لقد قفرت يا سيدي على ثلاثة أسطر ما زالت تحتاج مني إلى بحث وصبر وإعادة النظر في محاولة قراءة ما صعب علي، فعلت ذلك متعمدا لأسباب سوف أذكرها لك معتررا في النهاية.

المهم، كنت قد توقفت الأسبوع الماضي عند بعض ما استلهمته من كلمة "الفيوضات" لأن ما تلاها مباشرة كانت كلمة "التجليات"، فخفت ألا أعطيها حقها ووعدت بالعودة إليها هذا الأسبوع، وحين بدأت محاولة الوفاء بالوعد إذا بباب يفتح على ربما لا أستطيع عقفه بما يلمني ولو قليلا، ذلك أنني قد بدأت بتجليات الغيطاني، وأنا أعلم حبه لك، وحبك له، وتقديرك لهذا العمل بوجه خاص، وكنت شخصا قد توقفت عند هذا العمل وشدني حتى كتبت فيه مسودة نقد بعنوان "تكتيفات الوالدية ووصاية المعقد" ما زالت -للأسف- مسودة حتى الآن، ولكنني استشهدت بها في أطروحتي عن "الإيقاع الحيوي ونبض الإبداع" التي حكيت لك عنها مرارا وتكرارا، بل وجعلت نظريتي هذه مدخلا لنقد أحلام فترة النقاها، فقد حقق لي عمك هذا كثيرا مما خطر لي في فروضى التي لم أكن أتصور أنني

سأحظى به أبداً، ولكن دعني أحكى لك عن سيجموند فرويد، وأنا أعلم أنك تحبه ، وسوف أقتطف مباشرة من كتابه تفسير الأحلام، وأذكر أنني سمعت منك أنك قرأته وتقدره أيضاً:

يقول فرويد ... بالصدفة فى رواية "جراديفا. ف. يتزن"، عثرت على أحلام متعددة، خلقها المؤلف خلفاً، ولكنها كانت مع ذلك صحيحة كل الصحة فى بنائها، وأمكن تفسيرها، كما لو كانت (أحلاماً) تصدر عن أشخاص حقيقيين، ولم تكن من بدع الخيال. وقد ذكر لى المؤلف رداً على سؤال من جانبى أنه لم يكن يعلم شيئاً عن نظريتى فى الحلم. ولقد اتخذت من هذا التطابق بين مباحثى وخلق الكاتب شاهداً على صحة تحليلى للأحلام" [2].

وبالرغم من أنك نفيت لنا مرارا أن ما كتبت فى أحلام فترة النقاها لم تكن أحلاماً ترُصد، وإنما هى إبداع متصل بالحلم أو من وحيه، فتعلمت من ذلك المزيد عن الإبداع، وأيقنت فى نفس الوقت بفوضى الت تعتبر الشخص العادى مبدعاً لأحلامه فى مستوى ما من الوعى، بالرغم من ذلك إلا أن ما فعلته وما فعله الغيطانى من قبل، ومن قبله فتحى غانم (فى الأفيال) طمأننى ليس فقط على موقفى النقدى بل على موقفى العلمى.

وإليك ما ما جاعنى من تداعيات من كلمة **التجليات** مقتطفاً من أطروحتى **"الإبداع الحيوى ونبض الإبداع"**.

"...ولمزيد من دعم هذا الفرض سوف أقدم بعض الاستشهادات التى رأيتها مناسبة لتحقيق هذا الجزء من الدراسة. وسأكتفى فى الانتقاء بالأعمال التى قمت بقراءتها كتابة (نقداً)، بدءاً بالأفيال لفتحى غانم ثم تجليات الغيطانى وأخيراً هامش من مائة عام من العزلة لجارثيا ماركيز، وكلها تعلن تجليات الإبداع أكثر من تجليات الحلم، ولعل هذا ما يعنيه شيخى أيضاً.

الرواية "نظام" الحلم:

(أ) نبدأ بأفيال فتحى غانم، بما هى نموذج للرواية التى وقعت على الحدود الفاصلة بين حالتين أو أكثر من مستويات الوعى. فى الدراسة التى عنوانتها: "الموت...الحلم..الرؤية، (القبر/الرحم)" [3]، بيّنتُ كيف أننى رأيتُ فيها: "عملًا شديد التكتيف، كثير التداخل، مفرطاً فى الاستطراد" وقدرت أن هذا "القبر/الرحم" إنما يقع فى الطبقة الأعمق من "الوعى الفردى" و "الوعى الجمعى" على حد سواء، حيث يسقط الزمان (بمعنى التتابع المسلسل)، ويسقط المكان (بمعنى الحدود والمسافات)، فلا تبقى إلا كيانات متقابلة دائرية مغلقة، تبحث فى سرية عن نقطة تفجر جديدة. وقد ردد الكاتب فى أكثر من موقع أن الأحداث تقع بين الصحو والنوم: فالكاتب يعلن فى مباشرة غير ضرورية نوع هذه الرواية، وهو "نوع من الرؤيا التى تفتح أبواب الخبرة الفردية المختزنة، وتعيد التأليف بينها فى بنية جديدة" [4].

ها هو يوسف فى الأفيال يعلن مباشرة ما أوضحناه بشأن الحلم من أنه وظيفة معرفية فهو يقول: "الخطر الحقيقى أنى مازلت أفكر. لقد جننت إلى هذا المكان لأتحرر من هذه الأفكار التى تتربص بى" [5]. إنه هرب من التفكير العادى إلى تفكير "آخر". غير أن هذه الرواية التى توصلت بكل المقاييس المعروفة للحلم، وبخاصة من حيث "التكتيف" و"تجاوز الزمن الراتب حتى تلاشيه" و "دائرية الحركة"، كانت فائقة الحكمة. حقيقة كانت خيوطها كثيرة ومتداخلة، لكنها خيوط متينة ومتصلة، بل شديدة الطول والتعقيد المنظم، وهى بهذا الوصف الأخير تبتعد قليلاً بل كثيراً عن مستوى الحلم الأعمق، حيث إن الكاتب خفف جرعة ما هو حلم بنسج روايته فى نسج منمنم متين، حبك به التناثر، وسلسل الأحداث حتى كادت معالم الحلم تختفى.

(ب) فإذا انتقلنا إلى **تجليات الغيطانى** [6]، نجد وصفها أنها "عمل بين الرواية والسيرة الذاتية والشعر"، يضعنا مباشرة فى جو الحلم، حيث النائم يرى ما لا يراه اليقظان وحيث التفكير والانسلاخ يعلنان صراحة:

"...فصل رأسى عن جسدى" [7]، "... فصررت أنظر إلى جثة نفسى..." [8].

"أصبح لى ظلال بعد أن كان لى ظل واحد...، لكن بدت ذراعى غريبة عنى، خاصة يدي" [9].

"وأنا رأسى مقطوع بلا جسد، لكننى رأيتُ جسدى يمضى أمامى، أمام أبى.. يتصل برأس ليس هو رأسى... وحن رأسى إلى جذعى، ورقفت هامتى لجذرى.." [10].

هنا نرى قدرة التحمل الإبداعى لمواجهة تفكيك فعلى لصورة الجسد (بل للجسد إذ هو كيان داخلى)، مما لا يحدث إلا فى المراحل الأولى المقابلة لتنشيط الحلم. لكن المبدع الذى يتحمل مواجهة هذه المرحلة المبكرة، فيستطيع أن يحتوئها فى نسيج أكبر، هو غير من يسارع بضمها، أو رتقها بخيال مفكر أكثر منه مبدعاً. على أن التجزئ كان أحد صور التفكير المكررة، لكن ثمة إعلان لنوع آخر من

التفكير حيث تتباعد الكيانات مستقلة: "كأني قسمت إلى عدة أشخاص يحركهم عقل واحد..." ([11]).

وتبلغ درجة التكثيف أكثر ما تبلغ في تعدد الكيانات الوادية، التي ظلت تحيط بالغيطاني وتباركه طوال التجليات، بل إنى وجدت أن وثوقه من دعم هذه الكيانات الوادية هو الذى سمح له بالتجلى دون خوف - معوق - من شدة التناثر، وكانت "الكيانات الوادية" جماعا من الأب الفعلى (والد بالدم) و"عبدالناصر"، و"إبراهيم الرفاعي" و"محيى الدين بن عربى"، ثم "الحسين" و"السيدة زينب".... وغيرهم.

وأخيرا فقد كان الزمن، طوال أغلب التجليات، هو الزمن المتجاور، الذى أشرنا إليه، وبالنص:

"فكيف الحال فى التجليات حيث تتجاور، وتتضفر البدايات والنهايات...".

"..عرفت وأنا أدنو من أبوابها أن الليل لايلج النهار هنا، وأن الأوقات لا تتغير كما عهدت، وإنما تتجاور متتالية...".

وأحيانا يعلن دوران الزمن مباشرة:

"تدور الأيام فى الأسابيع، والأسابيع فى الشهور... ([12]) (لاحظ حرف "فى")

وتصبح الأماكن فى متناول المتجلى معا:

"فرحلت إلى عدة أماكن فى وقت واحد" ([13])، ويستمر التكثيف الحلمى. وتستمر معالم الحلم وتشكيلاته طوال التجليات، اللهم إلا

حين يقترب الكاتب فى حماسة عالية الصوت من تحيزاته العقائدية، فتغلب الخطابة، ويتوارى الحلم كثيرا أو قليلا.

(ج) تمثل "مائة عام من العزلة" (جابريل جارتيا ماركيز) ([14]) مزيجا متوازنا من قوانين الحلم وقوانين اليقظة، يتمثل ذلك مثلا

فى حضور الموتى، وإحيائهم، فى مقابل وقائع الحرب والزواج المحددة، كما يتمثل فيما أسماه س. سيجر: الزمن الحسابى فى مقابل: زمن

الذاكرة ([15])، وهذا مايقابل ماسبق أن أشرت إليه تحت اسمى "الزمن التتابعى" فى مقابل "الزمن الترابطى (المتداخل)".

من ناحية أخرى: إن هذه الرواية تؤكد معنى الواقعية كما حددناه هنا، مما أسميناه: الواقعية البيولوجية، يعلمنا ماركيز مثلا كيف: "أن

الموتى (ملكيداس، أو بروديسو أجويلار) يظلون أحياء، فوجودهم بوصفهم معلومات فى المخ هو كيان قابل للتشيط، فهو "حقيقة بيولوجية

(ليس ذكرى تجريدية) تظهر فى الحلم" كما تظهر فى الإبداع الروائى بنفس الوضوح والمباشرة ([16]). كذلك فإن تعامل ماركيز مع

الأشياء باعتبارها عوالم حية، هو أيضا من القبيل نفسه. لكنى أقتطف هنا مقطعا هاما يعلن قدرة الكاتب على التعرف على المخ، من

الداخل، بشكل عيانى مباشر؛ الأمر الذى يحدث فى عمق الحلم دون حكايته عادة. وقد أسقطه جارتيا، محتوى ووظيفة، إلى الخارج، مجسدا

فى الواقع، وذلك حين أصاب القرية وباء الأرق، وماترتب عليه من مضاعفات فقدان الذاكرة، وتعليق لافتات للتعرف... إلخ حتى رأيت

جارتيا وكأنه يتجول فى كواليس المخ بما فيها من كيانات حية متحركة فى أنحاء البيت.. يقول:

"وأخذوا يرون فى هذه الهلوسة، وضوح الرؤية المخيف للصور التى تكون أحلامهم... بل أخذ كل منهم يرى صور أحلام الآخرين

حتى لكأن البيت امتلأ بالزوار...." ([17]).

.....

شيوخى الكريم

هل تغفر لى هذا الهرب المشروع، لأننى لا بد أن أتم الآن مقالا افتتاحيا سألقيه غدً فى "مؤتمر قسم الطب النفسى الدولى السادس"

المنعقد بكلية الطب قصر العينى جامعة القاهرة "إلى أين يتجه الطب النفسى؟ التعليم والممارسة" فى الفترة من 14 إلى 16 فبراير

2013.

وأنت تعرف صعوبة موقفى من هذا الموضوع تجاه زملائى الأفاضل.

هل سامحتنى على كسلى؟

نعم؟

ربنا يخليك.

[1] - (ك.غ): كلمة غير مقروءة (كما اعتدنا)

[2] - هامش أورده فرويد فى "تفسير الأحلام" ص 127 (الطبعة المترجمة نفسها). ترجمة مصطفى صفوان ومراجعة مصطفى زيور - دار المعارف.

[3] - يحيى الرخاوى: قراءة فى أفيال فتحى غانم "الموت، الحلم، الرؤيا (القبر/الرحم) من (ص108-136)- عدد يوليو 1983 - مجلة

الإنسان والتطور .

[4] - نفسه ص 111

[5] - نفسه 122-123

[6] - يحيى الرخاوى: "تكتيفات الوالدية.. ووصاية المعتقد فى تجليات الغيطنانى" (دراسة لم تنشر).

[7] - جمال الغيطنانى "كتاب التجليات" ص 21- دار المستقبل العربى القاهرة. (قراءة نقدية لم تنشر).

[8] - نفسه ص 265

[9] - نفسه ص 266

[10] - نفسه ص 298

[11] - نفسه ص 75

[12] - ص 52.

[13] - ص 74.

[14] - جابريل جارثيا مركزيز "مائة عام من العزلة" ترجمة: سامى الجندى، إنعام الجندى. دار الكلمة (1980) - بيروت. (دراسة نقدية لم تنشر).

[15] - سيزار سيجر: "استدارة الزمن عند جارثيا ماركيز" ترجمة: اعتدال عثمان "ص 82" (المجلد الأول- العدد الثالث- أبريل 1981- مجلة فصول) وهذا الاصطلاح ينبغى مراجعته لأنى متحفظ على استعمال كلمة الذاكرة هنا. إن مدرسة "العلاقة بالموضوع" تفرق بين الذاكرة والموضوع الداخلى، وهى تفرقة ليس لها علاقة بالبيولوجى، حيث أن هذه المدرسة تهاجم حتى بيولوجية فرويد الغرائزية المتواضعة، ولكنى أستفيد من هذه التفرقة لأنبه على أن المسألة ليست ذكريات تتداخل، بل هى واقع موضوعات، ثم أختلف مع ميلانى كلاين ولو فى التسميات، فالموضوعات عندى كيان بيولوجى حى بالمعنى الأوسع لما هو بيولوجى. (أنظر هامش 4)

[16] - يحيى الرخاوى: العزلة والخلود ودورات الزمن فى "مائة عام من العزلة" قراءة لم تنشر.

[17] - أنظر هامش (89) ص 48.

*** **

ARABPSYNET PRIZE 2013

جائزة يحيى الرخاوى لشبكة العلوم النفسية العربية 2013

مخصصة هذا العام للطب النفسى

www.arabpsynet.com/Prize2013/APNprize2013.pdf